مشهد

الثورة التونسية بوصلة معطّلة نحو الجمهورية الثانية

ما لم يحدث في عشر سنوات

مرّت عشر سنوات على تحقيق الثورة التونسية هدفها في تغيير النظام، بالعودة الى الطموحات الشعبية وقتها، كان من المفترض ان نعدّد اليوم مكاسب التونسيين، غير ان ما تحقّق قليل نسبياً، لتكون بذلك الذكرى العاشرة مناسبَة لنعدد ما لم يُنجز بعد

شوقي بن حسن

باهتةً، وأقرب إلى البرود الشعبي والسياسي، تمرّ الذكرى العاشرة للثورة التونسية. كان يمكن لرمزيّة العدد عشرة، واكتمال عقدٍ على الحدث الذي غيّر الواقع التونسي بلا رجعة، أن يُسعفا ما تبقّى من نزعة احتفالية؛ لكنّ ماذا نقول عن ثورة عرفت، منذ الأيام الأولى، خنقاً لروحها الاحتفالية وبهائها، فلم يبقَ بعد عشر سنوات إلا أثرٌ بعيدٌ في الضمائر لمشاريع التغيير التي لم تُنجَز.

ربما كان الحدّ الأدنى من الاحتفاء معبّراً في حدّ ذاته، إذ لن يكون لأيّ تظاهرة من معنىً غير التذكير بالإحباطات الشعبية، ولن تكون ثمة حاجة وقتها لعزاءات من قبيل: أوّل ثورة في القرن الحادي والعشرين، الاستثناء الديمقراطي، شرارة الربيع العربي... أي دلالةٍ لذكرى الثورة ما لم تجعل الناس يحسّون، اليوم، بالفرح والفخر؟

هناك إجماع بأن شيئاً ضاع على طريق السنوات العشر هذه. تدفقٌ عفويّ جرى إهداره في المعارك الجانبية والمتاهات الصغيرة والعنف المجّاني وتفخيخ الحلول الممكنة.

للتونسيين أن يذكروا بينهم وبين أنفسهم - كما في صلاة - زخم الأيام الثورية، حين تناثرت الأحلام على الطرقات والساحات، في نقاشات لم تكن تهدأ، أو الشعارات المرفوعة، والتي كُتبت بعُجالة، حول العدل والحرية والكرامة. تحدّث بعضهم عن إعادة بناء الدولة من أساساتها، وراح بعضٌ آخر يحلم بالعودة إلى التاريخ، وفتح الطريق من جديد إلى الأمة العربية. ما الذي توقّف بعد ذلك؟

حدث كلّ شيء بسرعة: احتجاجات، مطالب، انتخابات، اغتيالات... حالةٌ من الركض المتواصل مع الأحداث غلّفت الأيام. لم تستمرّ متعة الشعب بالحدث الثوري، فذوب نكهته تدريجياً، ولم تكن هناك بوصلة تهدي في المنعرجات.

مَسكُ هذه البوصلة هو دور اجتماعي يُفترض أن تتهيّأ له فئة بعينها: جماعة المثقّفين. لم يذهب كثيرون للعب هذا الدور. كانت الضبابية تلفّ الأجواء، وحتى مَن تكلّموا ضاع صوتهم في الضجيج. مرّت الثورة كظاهرة طبيعية ولم يكن هناك من يملك مؤهلات علوم الطبيعة كي يروّضها. مرّت كما تمرّ الزوبعة.

يقول أحد التفسيرات، التي انتشرت سريعاً مع أولى الهزّات، أن فشل الثورة ناتجٌ عن كونها لم تكن مسبوقة بثورة ثقافية. لكن هل الثورة الثقافية ممكنة في بلد كان مختنقاً؟ بمثل هذه الإعاقة كان على ثورة 2011 أن تتقدّم. لم يكن أحد يحبّ أن يعترف بهذه الإعاقة، وكان هذا سبباً آخر في اختيار مسالك لا تفضي إلى أيّ مكان. ببساطة، كانت الثورة - بعفويّتها الأولى - فرصةً لتهيئة التربة لثورة ثقافية. ولا أحد، تقريباً، كان يؤمن بذلك. فضاعت الثورة والثورة الثقافية معاً.

من تونس العاصمة (Getty)

غير أن الحصيلة تبقى إيجابيّة، مقارنةً بالعقد الأول من الألفية. فإذا كانت حصيلة التنمية الاقتصادية قد تراجعت، فإن الأمر ليس كذلك على المستوى الثقافي. لننظر إلى الرواية، إلى السينما، إلى المسرح، إلى الفنون التشكيلية، وإلى الإصدارات البحثية والتاريخية؛ كلّها حقولٌ استفادت من الهواء الجديد. الحديث عن ركود ثقافي في تونس لا يعني أبداً الحديث عن ركود المواهب الإبداعية، وتلك مفارقة البلد ومتاهته: كيف لا تتدفّق هذه الإسهامات وتتلاقى وتشتبك فتخلق ربيعاً؟

كثيرة هي الأسماء التي ظهرت واتّخذت لها مواقع في الخريطة الإبداعية، بل فتح بعضُها طرقاً غير معبّدة، واشتغل بعضُ آخر في صمت، لا يهمّه إن بقي غير مرئيّ. ذلك أنّ الجمع فهم، مع ضمور وهج الثورة ورمزيّاتها، أنّ أجهزة الدولة ستظلّ المحرّك الرئيسي للحياة الثقافية، ليذهب بعضُ للاستفادة من الوضع القائم، ويوغل آخرون في مغامراتهم.

كانت الثورة كنقطة لاعودة في وعي الحريّة

> كانت الثورة مثل نقطة لاعودة في وعي الحرية في تونس

> السنوات العشر هي حصيلة ما لم يُنجز وما لم يُفكر فيه

في تونس. هذا المعطى كافٍ لإخصاب الثقافة في انتظار عوامل أخرى، معظمها لم يأت. يبقى أن القليل أفضل من لا شيء. تجلّت ثمار الحريّة مثلاً في انفتاح الإعلام، بما هو ضمانة لجميع القيم الاجتماعية التي آمن بها الناس، فظهرت عشرات العناوين الصحافية في 2011، وعدد من الإذاعات والتلفزيونات، ولكنّها انهمكت في اليوميّ ولم تقدّم خدماتٍ ملموسةً لطموحات الشعب الأولى. وبعد سنتين، ستبدو الصحافة (المكتوبة خصوصاً) مثل مشهد الأسماك التي تطفو ميّتة في بحر ملوّث بزيوت الباخرات والمصانع. لكن هل ماتت الأسماك بسبب تلوّث البحر أم لقلّة مناعتها؟

تركت تلك اللحظة من الزخم الثوري أثرها إلى حين. دخلت البلاد في نشوة النقاشات؛ أفكار كثيرة كانت طيّ الكتب والأطروحات وباتت خبزاً يومياً للتونسيين؛ وأفكار أخرى تحدّثك عن التلاعب الإعلامي والمؤامرات الصغيرة في البرلمان ولويّ الأذرع بين المؤسسات الرسمية. بين عشيّة وضحاها تغيّرت الاهتمامات ودرجة الوعي الشعبي وميولات الناس؛ لقد انشرحت صدورهم مع سقوط العصا البوليسية. لكنّ التونسيين سيعرفون لاحقاً أن هناك ما هو أخطر على الحريات من العصا الغليظة: الخوف. حامت وقتها سيناريوهات كثيرة في السماء مثل الغربان؛ الثورة المضادة ممكنة كما في اليمن، والحرب الأهلية في ليبيا ليست بعيدة، وتشريد شعب بأكمله أمرٌ قابل للوقوع كما في سورية، والانقلاب العسكري خطر يهدّد كل البناء الديمقراطي، وقد حدث بالفعل في مصر. في الداخل، الغم التشدّد الديني الفضاء العام، فاختلق معركة انهمك فيها معظم المثقفين. أيّ جهد، أيّ وقت، أيّ مقدّرات يمكن بعد ذلك توظيفها في ترتيب الأحلام الثورية ناهيك عن محاولة تجسيدها؟

ثمّ لنتساءل أيّ مساحة تركتها القيم الاستهلاكية ليكون للفنانين والمثقّفين فاعليةٌ؟ وماذا تركت هجمة الفنون الجاهزة من الشرق والغرب لتفسح المجال لمبدع تونسيّ أن يخاطب الناس؟ وقبل ذلك، ماذا ترك نسق الحياة الجنوني وارتفاع الأسعار للمواطن التونسيّ حتى ينفقه على متعته الفنية والفكرية؟

ثلاثة إجهاضات

شهدت تونس الحديثة ملامح نهضات ثقافية غير انها كانت تتوقّف في كل مرة قبل ان تُقصف ثمارها. في نهاية الستينيات، ظهر جيل قطع مع شعارات مرحلة الاستقلال فخطا خطوة نحو ثقافة بديلة، غير ان النظام البورقيبي تعامل معه بكثير من القمع البوليسي. وعرفت الثمانينيات زخما إبداعيا لافتا انهاه زين العابدين بن علي حين تبنّى مقولاته شكليا فافرغها من محتواها. ثورة 2011، كانت فرصة ثالثة اهدرت هي الاخرى كما يبدو.

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

متابعة

ما بين جزيرتين البحرين شِعراً

مسافات ينبغي النظر إليها

بدأت قبل أيام سلسلة ورش للكتابة الشعرية، مخصّصة للبحرينيين المقيمين في المملكة المتحدة، ويشرف عليها كلٌّ من علي الجمري وامينة عتيف

لندن ـ العربي الجديد

هل يمكن للشعر أن يقول شيئاً، أو أن يساعد في قول شيء، عن تجربة المرء وأسئلته في مغتربه؟ لا يشكّ في ذلك منظمو ورش الكتابة الشعرية «ما بين جزيرتين». جاءت فكرة هذه الورش، المخصّصة للبحرينيين المقيمين في بريطانيا، للإجابة على أسئلة من قبيل: ماذا يعني أن نكون بحرينيين في المملكة المتّحدة؟ كيف يؤثّر ذلك على علاقتنا بوطننا؟ وما هي الأشياء التي نتوق إليها، والحقائق التي اكتشفناها، والمسافة التي كان علينا أن نصنعها لأنفسنا؟

يختار المشروع، الذي بادر إليه ويشرف على ورشه الشاعر البحريني البريطاني الشاب علي الجمري، بالتعاون مع الشاعرة والمؤدية اليمنية الشابة المقيمة في المملكة المتّحدة أمينة عتيق؛ يختار الشعرَ كوسيلة لـ«نطلق العنان لأصواتنا الإبداعية». كما أنه يأتي في هذه الفترة العصيبة التي يعيشها العالم بسبب جائحة كورونا، لخلق روابط بين الناس، وللتقليل من تلك العزلة التي تفرضها عواقب الجائحة، بحسب تعبير الجمري.

ويعلن المنظمون رغبتهم في تحويل الورش إلى «مساحة» يمكن للبحرينيين المقيمين في المملكة المتّحدة، التعبير عن أنفسهم من خلالها. ولم يشترط المنظّمون أيّ «خبرة مسبقة في الكتابة» للانضمام إلى الورش. كل ما يحتاجه الراغب في المشاركة هو أن يكون بحرينياً مقيماً في المملكة المتّحدة ومهتماً بالكتابة، وأن يكون عمره بين الـ18 والـ81. كما لا بدّ له، بالتأكيد، من الإلمام بالعربية والإنكليزية للاستفادة من الجلسات التي انطلقت في العاشر من يناير/ كانون الثاني الجاري، عبر تطبيق «زووم»، في انتظار ما سيؤول إليه الوضع الصحي في المملكة المتّحدة.

تستمر ورش المشروع، الذي يتلقّى منحة ماليّة من «مجلس الفنون في إنكلترا»، ويدعمه «مهرجان ليفربول للفنون والثقافة العربية»، ستة أسابيع، بمعدّل ساعتين في نهاية كل أسبوع، وذلك حتى يوم 21 فبراير/ شباط المقبل. وتحمل كلّ واحدة من الجلسات الأسبوعية عنواناً وثيمة مختلفة؛ حيث جاءت الجلسة الأولى تحت عنوان «التراث والميراث»، في حين ستأخذ الورشة الختامية عنوان «المستقبل»، الذي سيكون موضوعاً لها.

درس الجمري الصحافة في «جامعة وينشستر» وحصل على شهادة في دراسات الشرق الأدنى والأوسط من «مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية» بجامعة لندن. نُشرت نصوصه في عدد من المجلّات والأنطولوجيات الشعرية، وقامت مجلة «الشعر الحديث مترجماً» (Modern Poetry in Translation) بنشر ترجمته لقصيدة «إرادة الحياة» لأبي القاسم الشابّي، في عددها الفصلي الثالث للعام المنصرم.

أمّا أمينة عتيق، الحاصلة على إقامة فنية في مؤسسة «ميتال كلتشر» في موسم 2020-2021، فقد قدّمت نصوصها الشعرية وعروضها الأدائية في العديد من المهرجانات والمنصّات الإعلامية في المملكة المتّحدة، مثل مهرجان «آوان» و«مهرجان ليفربول للفنون والثقافة العربية» وإذاعة «بي بي سي» وصحيفة «ذا إندبندنت». وهي ناشطة في الدفاع عن حقوق اليمنيين وفي مجال دعم الأطفال.

وقد شارك كل من الجمري والعتيق في برنامج المواهب «الكلمات أولاً» (وورد فيرست) الذي تنتجه «بي بي سي». ووصلت العتيق إلى المرحلة النهائية من نسخة البرنامج لعام 2019، في حين وصل الجمري إلى المرحلة نصف النهائية من نسخته للعام الماضي. ويهدف برنامج «الكلمات أولاً» إلى «تطوير المواهب» لدى مشاركيه من كتّاب الشعر والراب وممارسي الأداء المحكيّ، متيحاً لهم فرصة العمل «مع فنانين معروفين» ومقدّماً لهم مساحة لتقديم أعمالهم في عروض رقمية.

> محاولة للإجابة على سؤال: ماذا يعني أن نكون عرباً في بريطانيا؟

علي الجمري

كتاب

محمود عبد الغني حبكة التحليل النفسي بين لاكان وفرويد

معجم لكنّه حكاية أيضاً

يطرح المؤلّف في كتابه الصادر حديثاً مسالة تصنيف التحليل النفسي: هل هو ضرب من الادب، ام ضرب من تحليل الخطاب والانسان من خلال كلماته؟

عمّان ـ العربي الجديد

تتطوّر الصناعة المعجمية حول العالم في اتجاهين؛ كمّي يغطّي موضوعات جديدة مع تقدّم التكنولوجيا وتوسّع العلوم الطبيعية والإنسانية في نظرياتها وتجريبها، ونوعيّ يتعلّق بأسلوب التأليف وطبيعة التناول التي تأخذ طابعاً سردياً يبتعد عن الشكل التقليدي.

ثمّة، في الثقافة العربية، جهودٌ مؤسّسيّة وفرديّة لتجاوز الفجوة الكبيرة في هذا المجال، ومنها صدور «معجم تمهيدي لنظرية التحليل النفسي للأدب» حديثاً (دار خطوط وظلال)، بتوقيع الشاعر والباحث المغربي محمود عبد الغني، الذي يقدّم مادة تتشبّك مع حقول معرفية متعدّدة. يلفت المؤلّف في تقديمه إلى نقاط أساسية، أولّها أن كتابه «معجم، لكنّه حكاية أيضاً»، حيث يسرد المواجهة الساخنة، غير المباشرة، بين جاك لاكان وسيغموند فرويد، بحيث يبدو «تاريخ النظرية يتدفّق في اللسان والأدب». ويتساءل: هل التحليل النفسي ضربٌ من الأدب؟ ساعياً في إجابته إلى إثبات أنه ضرب من تحليل الخطاب مثلما هو ضرب من تحليل الإنسان من خلال كلماته. في موضع آخر، ينبّه الكاتب إلى أن الأدب ظلّ «يشكّل درعاً واقياً للتحليل النفسي، وظلّ هذا الأخير يتمسّك به، ويطارده حتى يظهر له لمعان النفس. تلك مفاهيم تطوّرت منذ هوميروس إلى اليوم». ويرى أنه عند جرد الأعمال الأدبية والفلسفية والفنية التي رافقت التحليل النفسي ورافقها التحليل النفسي فإننا سنعتبر أن «كل الفلسفة وكل الأدب وكل الفن هو سعي لقول الحقيقة كما هدف إلى ذلك التحليل النفسي».

في ترتيبه الهجائي، يُفتتح المعجم بكلمة «اختلاق» التي اختارها لنقل مفردة Fiction في اللغات اللاتينية، ويوضح عبد الغني أنّ «جاك لاكان استعمل مصطلح اختلاق لكن ضمن دلالة جديدة، فهو لا يشير إلى الشيء الكاذب، بل يستعمله بمفهوم الإنشاء العلمي»، أي أنّ «له من المشترك مع الحقيقة أكثر ممّا له مع الكذب». وفي هذا الصدّد يقول إن «الحقيقة مبنية بوصفها اختلاقاً».

على هذا النحو، يمضي المؤلّف في شرح المفردات ذات الصلة بنظرية التحليل النفسي مع وضع المراجع التي استند إليها أسفل كل مفردة، وكيف تعامل معها واختلف في النظر إليها النقّاد واللغويون وعلماء النفس وغيرهم من الأعلام الذين أوردهم الكتاب بشكل مبسّط موجّه لعموم القرّاء.

يتعرّف القارئ على التغيّرات في مشهد التحليل النفسي من خلال بعض مفردات المعجم، مثل «تأويل» (Interprétation)، حيث يكتب عبد الغني أن «آلية التأويل عرفت انكفاءة كبيرة، إذ إنه بالرغم من تحليل الأعراض وتأويلها بغرض وعي المعالَج بها، فهذه الأعراض استمرت في الوجود، مما دعا لاكان إلى تفسير انخفاض نجاعة التأويل بعد عام 1920 بوجود ما سماه بالانسداد». وكذلك الأمر مع مفردة «ذاكرة» (Mémoire)، حيث يذكّر عبد الغني، مع الفيلسوفة البريطانية ميري ورنوك، أن «الذاكرة والهوية الشخصية مرتبطتان بقوى لا تنفصم، إذ لا يُعدّ أيّ من المفهومين سابقاً على الآخر أو قابلاً للانفصال عنه».

> تتعرف على تغيّرات التحليل النفسي من خلال مفردات المعجم

سيغموند فرويد على جدارية في مدينة المكسيك (Getty)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

فعاليات

بين الإمبراطوريات، ما وراء الحدود عنوان المعرض الذي افتتح في منتصف ايلول/سبتمبر الماضي في «غاليري سالت بيوغلو» بإسطنبول، ويتواصل حتى الرابع عشر من آذار/مارس المقبل. يحتوي المعرض سجلات ارشيفية وصورا ووثائق تضيء الحقبة الدستورية الثانية في تركيا وصولا إلى الحرب العالمية الاولى.

يعقد «معهد ابحاث ودراسات المتوسّط والشرق الاوسط» (فرنسا) لقاء حول سورية يوم الاثنين المقبل، تحت عنوان: **هل العالم غير مبال بالمأساة السورية؟**. اللقاء الذي سيجري بثه على «يوتيوب» يجمع كلّا من الطبيب **روني بروومان** (الصورة)، احد مؤسّسي منظمة «اطباء بلا حدود»، و**اريك إيمرو**، المدير السابق لـ«المكتب المركزي لمكافحة الجرائم ضد الإنسانية» في فرنسا.

يحتضن «قصر النجمة الزهراء» في مدينة سيدي بوسعيد بالقرب من تونس العاصمة، عند السابعة من مساء السبت، فعاليات الدورة السابعة من تظاهرة **موسيقيون من تونس** التي تتواصل حتى نهاية الشهر الجاري. من العروض المشاركة **الولادة** لـ **مراد التومي**، و**من النوى** (الصورة) لـ **محمد علي شبيل** و**جهاد الخميري**.

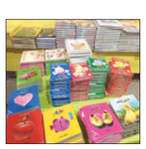

تنطلق، عند التاسعة من صباح اليوم الخميس، فعاليات الدورة الثالثة من **معرض كتاب الدقي للاطفال**، بتنظيم من مكتبة «الميكرفون» في القاهرة، والتي تتواصل حتى العشرين من الشهر الجاري. يضمّ المعرض حوالي مائة الف عنوان تتنوّع بين القصص والكتب التعليمية والتفاعلية باللغتين العربية والإنكليزية.